ما ان ذكرتك الا هم يقلقني … سرا و قلبي و روحي عند ذكراك
اما ترى الحق قد لاحت شواهده … وواصل الكل من معناه معناك
حتى كان رقيبا منك يهتف بي … اياك ويحك والتذكار اياك

وقال الواسطي رضي الله عنه يشير الي هذا المقام الذاكرون في ذكره اكثر غفلة من الناسين لذكره
لان ذكره سواه قال ابو العباس ابن البنا رضي الله عنه في كلام ذكره على مقدمة كتاب ابي العز
تقي الدين المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقليه في الكلمات النبويه ورايت هذا الكلام
بخطه رحمه الله ومن احسن الذكر ما هاج عن خاطر وازد من المذكور رجل ذكره وهذا هو الذكر
الخفي عند المتصوفه على الاستهتار والتمكن في الاسرار واما قولهم حتى يتمكن الذاكر الي حاله
يستغرق عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمه وقدره من عزيز عليم وبيان
غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره
فيصير القلب بيت الحق ومحلي منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق
المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها ولئن سمع كان
سمعه الذي يسمع به وذلك استولى المذكور العلي على الفواد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها
فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها ليقيمها في مرضاته فكذلك يخرج الذكر
من غير تكليف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يوتيه
من يشا والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله
تعالى قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح فواد ام موسى فارغا اي فارغا
من كل شي الا من ذكر موسى ان كادت لتبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل
كان تركها التصرح بذكره صبرا بما ربط الله على قلبها لتكون من المومنين بما اوحي اليها
من قبل في شان موسى وبانه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكره ابو العز ونفعه
بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادي الرايين هما الذكر والغفله عن الذكر وهذه المعامل
والمواقف لا يعرف حقايقها الا اهل الكون وجدانا والعلما ايمانا وتصديقا فايا كم والتكذيب
بايات الله فتكون من اهل الكبر في النظائر ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد
والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغفله
بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا تجري عليه احكام المخلوقين فهو الذاكر لنفسه
من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيه فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه
خلق الخليقه ولا تلحقه اوصافها واوجد الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه وهو
العلي الكبير انتهى كلام الشيخ ابو العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقام الذكر

وهو في

وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا الي توحيد الخواص من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان
يستبعد العبد الوصول الي هذا المقام الكريم فليس ذلك على الله بعزيز وعلى الفتاح العليم وعلى العبد
القيام بحق الاسباب ومن الله تعالى دفع الحجاب وقال ان من علامات موت القلب عدم الحزن
على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات فان القلب اذا كان
حيا بالايمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على فعله من الزلات ومقتضى هذا
وجود الفرح بما يشتغل فيه من الطاعات ويوفقه من اجتناب المعاصي والسيئات
وقد جاني الخبر من سرته حسنة وساته سيئة فهو مومن فان لم يكن العبد بهذا
الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم فهو على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان
ذلك من قبل ان اعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضا الله تعالى
على العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة
على رضاه عنه وغلب حينيذ رجاوه واذا خذله ولم يعصمه عمل بالمعاصي ساه ذلك
واحزنه لانه علامة سخطه عليه وغلب حينيذ خوفه والرجا يبعث على الاجتهاد
في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا
والخوف يبعث على المبالغه في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها
وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ات فلما حاذ ابنا ودنا اجاعتنا
اناخ راحلته ثم مشي الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي من
مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت ليلي واظمات نهاري وانضيت راحلتي لاسلك
عن اثنين اسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا زيد الخيل
قال بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سيل عنها قال جيت ان اسالك عن
علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف
اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت
اليه واذا اعملت عملا قل او كثر ايقنت بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو اراد الله
للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي واد هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم
ارتحل ولم يلبث لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه عظمة الذنب عند
مرتكبه على وجهين احدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع
عنه وصدق العزم على ان لا يعود الي مثله فهذه عظمة محموده وهي من علامة
ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المومن يرى ذنوبه

Copyright © King Saud University